﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾ [الأنعام: 82]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

الآيـةُ الكريمةُ جـــوابٌ عـنِ الـسُّـؤالِ عن مقارنةِ الأمنِ مع اللهِ لا معَ سواهُ

لمّا ذكرَ سؤالَهُم في الآيةِ السَّابقةِ "ألزمَهم بالجوابِ حتمًا بقولِه: ﴿إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨١﴾ [الأنعام: 81]؛ أي: إن كان لكم علمٌ، فأخبروني عمَّا سألْتُكم عنهُ، ثُمَّ وصلَ بذلكَ - دلالةً على أنَّه لا علمَ لهم أصلًا، ليُخبِرُوا عمَّا سُئِلُوا عنهُ - قولَهُ مُستأنِفًا: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾"[1]، ممَّن أخلصُوا، ولم يخلطُوا إيمانَهم بظلمٍ بواحٍ، أو كفرٍ صراحٍ، فكانُوا حقيقينَ بالأمنِ يومَ القيامةِ، وبالهدايةِ في الدُّنيا والآخرةِ.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَلۡبِسُوٓاْ﴾: (لبس) أصلٌ يدلُّ على مُخالَطَةٍ ومُدَاخَلَةٍ، وفي الأمرِ لَبْسَةٌ؛ أي: ليس بواضحٍ. واللَّبْسُ: اختلاطُ الظَّلامِ[2]، واللَّبْس واللَّبَس: اختلاطُ الأمرِ، لبسُه عليهِ يلبسُه لُبسًا، فالتبسَ وتلبَّسَ بي الأمرُ: اختلطَ، وتعلَّق، أنشدَ أبو حنيفة:

تَلَبَّسَ حُبُّهَا بِدَمِي وَلَحْمِي *** تَلَبُّسَ عِطْفَةٍ بِفُرُوعِ ضَالِ[3]

والتَّلبيسُ: التَّخليطُ، مُشدَّدٌ للمُبالغَةِ، وهو شبهُ التَّدليسِ[4]، وقولُه تعالى: ﴿وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾، أي: لم يخلطوا إيمانَهم بشركٍ[5].

2) ﴿بِظُلۡمٍ﴾: (ظلم) أصلٌ يدلُّ على وضعِ الشَّيءِ في غيرِ مَوضعِهِ تعدِّيًا[6]، والظُّلمُ الاعتداءُ على حقِّ صاحبِ حقٍّ؛ وكلُّ مَن وضعَ شيئًا

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 7/167.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والجوهريّ، الصّحاح: (لبس).
(3) ابن سيده، المحكم: (لبس).
(4) الزَّبيديّ، تاج العروس: 16/470.
(5) الواحديّ، البسيط: 8/255.
(6) الجوهريّ، الصّحاح، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (ظلم).

في غيرِ مَوضعِهِ فقد ظلمَ، فكأنَّ الظَّالمَ هو الَّذي يزيلُ الحقَّ عن جهتِهِ، ويأخذُ ما ليسَ لهُ[1]، ألَا تَراهم يقولونَ: (مَن أشبهَ أباهُ فَما ظَلم)؛ أي: ما وضعَ الشَّبهُ غيرَ مَوضعِهِ قالَ كعبٌ:

أَنَا ابنُ الَّذي لَمْ يُخزِني في حياتِهِ *** قَديمًا ومَنْ يُشبِهْ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمْ[2]

والمرادُ به هنا إشراكُ غيرِ اللهِ مع اللهِ في اعتقادِ الإلهيَّةِ وفي العبادةِ، قالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان: 13]"[3].

3) ﴿ٱلْأَمْنُ﴾: من (أمن)، وهو ضدُّ الخوفِ، والفعلُ منه: أمِنَ يأمَنُ أمنًا، والمأمَنُ: مَوضعُ الأمنِ، والأمَنَةُ منَ الأمنِ، اسمٌ موضوعٌ من أمِنْتَ[4]، وأصلُ الأَمنِ: طمأنينةُ النَّفسِ وزوالُ الخوفِ[5]، والمرادُ بالأمنِ: "الأمنُ من عذابِ اللهِ الَّذي يحلُّ بمَن لا يرضى إيمانَه ولا عبادتَهُ"[6].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يخبرُ اللهُ تعالى أنَّ "هؤلاء الَّذين أخلصُوا العبادةَ للهِ وحدَهُ لا شريكَ له، ولم يشركوا بهِ شيئًا، هم الآمنون يومَ القيامةِ، المهتدونَ في الدُّنيا والآخرةِ"[7]، عن ابنِ مسعودٍ قال: لمّا نزلَت: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ شقَّ ذلك على أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ، قالوا: وأيُّنا لم يظلمْ نفسَهُ؟ فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «ليس كما تظنُّون، إنَّما قالَ لقمانُ لابنِهِ: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان: 13]»[8].

الَّـذيـن تـنـزَّهـوا عَـــنِ الـشِّـــركِ المهينِ لَهم الأمنُ والـهـدايـةُ يـومَ الدِّينِ

(1) الدّينوريّ، غريب الحديث: 1/248.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: 3/468. (ظلم).
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/332.
(4) الخليل، العين: (أمن).
(5) الرّاغب، المفردات: (أمن).
(6) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 8/432.
(7) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 3/294.
(8) البخاريّ، صحيح البخاريّ، الحديث رقم: (6937).

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

براعةُ الاستئنافِ الابتدائيِّ في قولِهِ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾:

التَّوحيدُ أحقُّ بأن يكونَ في صدارةِ التَّركيبِ

لَمَّا تقدَّمَ في الآيةِ السَّابقةِ السُّؤالُ على لسانِ إبراهيمَ؛ استأنفَ الكلامَ للإجابةِ بالجوابِ الحقِّ الَّذي لا محيدَ عنهُ[1]، "فتكون الجملةُ مُستأنَفَةً استئنافًا ابتدائيًّا تصديقًا لقولِ إبراهيمَ"[2]، وفائدةُ الاستئنافِ: تأكيدُ أمرِ التَّوحيدِ، بالنَّصِّ عليه دفعًا للجدالِ، وقَطعًا لسبيلِ الأوهامِ ممَّا يعصفُ بالأنفسِ، ويوردُها المهالكَ، خصوصًا وأنَّ التَّوحيدَ مركزُ الكونِ، ومجلى العلاقةِ بالخالقِ، وضابطُ الوصلِ بينَهُ وبينَ الخلائقِ.

فائدةُ التَّعبيرِ عن أهلِ الإيمانِ بالاسمِ الموصولِ والصِّلة:

التَّعبيرُ بالاسمِ الموصولِ يقتضي إيرادَ صلةٍ تُبيّنُ استحقاقَهم الأمنَ

في قولِهِ جلَّ شأنُه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾، عبَّر عنِ الفريقِ الأحقِّ بالأمنِ بالاسمِ الموصولِ؛ لإظهارِ أسبابِ أحقيَّتِهم به في صلةِ الموصولِ، "والمعنى: أنَّ الَّذين حصلَ لهم الأمنُ المُطلَقُ، همُ الَّذين يكونونَ مُستجمعينَ لهذين الوصفينِ: أوَّلهما: الإيمانُ، وهو كمالُ القوَّةِ النَّظريَّةِ، وثانيهما: ﴿وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾، وهو كمالُ القوَّةِ العمليَّةِ"[3].

نكتةُ مجيءِ جملةِ صلةِ الموصولِ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فعليَّةً بصيغةِ الماضي:

بيانُ تحقُّقِ إيمانِهم وتأكيدِ حصولِهِ في قولِهِ:

جاءَت صلةُ الموصولِ في قولِهِ جلَّ شأنُه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فعلًا ماضيًا؛ للدَّلالةِ على تحقُّقِ إيمانِهم وتأكيدِهِ؛ فإنَّ الفعلَ الماضي يدلُّ على أنَّ الحدثَ قد أُنجزَ، وصارَ محقَّقًا في الواقعِ، لذلك كان السِّياقُ بوصفِ الإيمانِ تدليلًا على يقينِ احتمائِهم بكنفِ اللهِ الَّذي هم به مُؤمنونَ، وما يتطلَّبُه ذلك من صفاءِ عقيدةٍ، ونقاءِ وجهةٍ، يقتضيها

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/42، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/156.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/332.
(3) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 13/49.

مدلولُ السِّياقِ في هذه الآيةِ مِن تَطَلُّبِ الأمنِ والهدايةِ المنصوصِ عليهما في آخرِ السِّياقِ.

عِلَّةُ حذفِ مُتعلَّقِ الفعلِ في جملة: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾:

أطلقَ الإيمانَ في قولهِ جلَّ شأنُه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، فلم يبيِّنْ مُتعلَّقَ فعلِ الإيمانِ؛ إذ لم يقُلْ: (آمنوا باللهِ)، فحذفَه؛ "لظهورِهِ منَ الكلامِ السَّابقِ، والتَّقديرُ: (الَّذين آمنوا باللهِ)"[1]، ولا جرمَ أنَّ العقلَ السَّليمَ، والفطرةَ السَّويَّةَ، تدركُ بيقينٍ أنَّ الإقرارَ في ميدانِ الاعتقادِ ينصرفُ مباشرةً إلى الإيمانِ باللهِ جَلَّ في علاه، دونَ أحدٍ سواهُ، وهذا مَلمَحٌ منَ الواقعِ العقديِّ، المتجلِّي في فلاحِ أهلِ الإيمانِ، وخسرانِ أهلِ الكفرانِ على مدى الأزمانِ.

التَّعويلُ على ما سبقَ ذكرُهُ اعتدادٌ بعقلِ المتلقِّي، وبصيرتِهِ النَّافذةِ

بلاغةُ عطفِ جملةِ: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ﴾ على جملة: ﴿ءَامَنُواْ﴾:

قولهُ جلَّ شأنُه: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ﴾ معطوفٌ على الصِّلةِ: ﴿ءَامَنُواْ﴾[2]، فدلَّ العطفُ على أنَّهم إنَّما استحقُّوا الأمنَ بسببِ تحقيقِهم الوصفين معًا: الإيمان المُحقَّق، والإخلاص المُستمرّ، وعليه فالَّذين لم يخلطوا إيمانَهم بظلمٍ، ولا كفرٍ، ولا شركٍ باللهِ، فهؤلاء هم الآمنونَ يومَ القيامةِ منَ الخلودِ في العذابِ، والمهتدون في الدُّنيا، والنَّاجونَ في الآخرةِ[3].

الأمنُ أعظمُ منَّةً، لايُنالُ إلَّا بصدقِ الإخلاصِ، وصوابِ العملِ

فائدةُ عطفِ المضارعِ: ﴿يَلْبِسُوٓاْ﴾ على الماضي: ﴿ءَامَنُواْ﴾:

أثبتَ السِّياقُ الإيمانَ لهم بالفعلِ الماضي؛ للدَّلالةِ على تحقُّقِ الإيمانِ فيهم، ونفى اللَّبسَ بإدخالِ (لم) على الفعلِ المضارعِ؛ للدَّلالةِ على استمرارِ النَّفي، إشارةً إلى دوامِهم على صفةِ الإخلاصِ في إيمانِهم، ومعنى الاستمرارِ والتَّجدُّدِ لا يتحقَّقُ لو قالَ: (وما ألبسُوا إيمانهم)، ومقتضى رسوِّ إيمانِهم بربِّهم، يتطلَّبُ تنزيهَ الإيمانِ عنِ اللَّبسِ بما يعكِّرُهُ ويفسدُهُ، لا في الزَّمانِ الماضي فحسبُ، بل في

ثباتُ الإيمانِ يتحقَّقُ باستمرارِ الإخلاصِ لمَن بيدِهِ الخلاصُ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/332.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/572.
(3) أسعد حومد، أيسر التّفاسير، ص: 872.

الحاضرِ والمستقبلِ، وهذا المَلمَحُ في الاستمرارِ بتواصلِ الماضي مع الحاضرِ، هو الَّذي اقتضى أن يعطفَ المضارِع على الماضي؛ ليتكاملَ الزَّمانُ في استيعابِ تنزيهِ أهلِ الإيمانِ عن أيِّ شركٍ أو عصيانٍ.

دلالةُ التَّعبيرِ بنفي اللَّبسِ دونَ ذكرِ الإخلاصِ:

التَّأكيدُ على الإخلاصِ أعلى مِن إثباتِهِ

قولُه: ﴿وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم﴾: لو قال: (وأَخلصوا) لمّا كان نصًّا في نفي الشِّركِ عنهم، فقد يُنتقضُ بأن يفعلوا ذلك مرَّةً أو مرَّتين، فلمَّا عبَّرَ عنِ الإخلاصِ بنفي اللَّبسِ بالفعلِ الدَّالِّ على الاستمرارِ، دلَّ ذلك على انتفاءِ ما يشوبُ إخلاصهم على وجهِ التَّأكيدِ، فالنَّفيُ نصٌّ على الخلوِّ، والإثباتُ لا يقتضي الخلوَّ على وجهِ التَّمامِ.

بلاغةُ الاستعارةِ في الفعل ﴿يَلۡبِسُوٓاْ﴾:

تجسيدُ تصويرِ المعنى بالاستعارةِ تحقيقٌ لقدرِهم عندَ ربِّهم

عبَّرَ السِّياقُ عن خلطِهم أعمالَ الإيمانِ بأعمالِ الشِّركِ بالفعلِ ﴿يَلۡبِسُوٓاْ﴾؛ لأنَّهم عملُوا بشيئينِ في وقتٍ واحدٍ، فهو "هنا مجازٌ في العمل بشيئينِ متشابهينِ في وقتٍ واحدٍ؛ شُبِّهَ بخلطِ الأجسامِ"[1]، وفي الاستعارةِ تجسيدٌ للمعاني، وإظهارٌ لها في شكلٍ مُصوَّرٍ، وفي ذلك منَ التَّأكيدِ ما فيه؛ إذ إنَّ الاستعارةَ تزيدُ المعنى تأكيدًا، وتضفي على العبارةِ رونقًا وجماليَّةً، تتلاءمُ مع بلاغةِ القرآنِ، ودقَّتِهِ في اختيارِ اللَّفظِ وبناءِ الصُّورةِ.

نكتةُ إضافةِ الإيمانِ لهم، وإيثارِ التَّعبيرِ عنِ الشِّركِ بالظُّلمِ:

التَّخصيصُ بالإيمانِ تشريفٌ؛ وأبشعُ صفاتِ الشِّركِ الظُّلمُ

أضافَ الإيمانَ إليهم؛ لأنَّ التَّخصيصَ بالإيمانِ تشريفٌ، وقد أطلقَ الظُّلمَ على الشِّركِ؛ "لأنَّه تجاوزَ الحدَّ المعقولَ ... فالشِّركُ أشدُّ الأمورِ تجاوزًا للحدِّ"[2]، ففيه تصريحٌ بأبشعِ صفةٍ، وهو إعطاءُ الحقِّ لغيرِ مُستحقِّهِ، ولو قال: (ولم يُشركُوا) لَمَا دلَّ على ذلك الوصفِ الزَّائدِ، وفي هذا منَ الممازجةِ بين الشِّركِ والظُّلمِ،

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/332.
(2) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 5/2570.

ما يعطي فكرةً عن التَّبعاتِ المرهقةِ، والمخازي المفسدةِ الَّتي لحقَتِ المجتمعَ الجاهليَّ بفعلِ الشِّركِ الَّذي صعدَ إلى الأصماخِ والأمخاخِ، فباضَ وعشَّشَ وفرَّخَ، واستولى على العقولِ والقلوبِ، وقيَّدَ الحركةَ والتَّصرُّفَ، فكانَ في ذلك أعظمَ الظُّلمِ، وأكبرَ الحيفِ.

إيثارُ التَّعبيرِ بنفي (اللَّبس) دونَ نفي (الظُّلم):

نـفـيُ ملابسـةِ الـشَّيءِ في الـدَّلالـة أبـلـغُ من نفي الشَّيءِ بالأصالةِ

لم يقُل: (ولم يظلموا في إيمانِهم)؛ لأنَّ نفيَ المخالطةِ أبلغُ من نفي الظُّلمِ، وفي ذلك تأكيدُ أنَّهم لم يشركوا بأيِّ وجهٍ من وجوهِ الشِّركِ، فقولُك: (لم يقْرَبِ الظُّلمَ) أبلغُ من قولِك: (لم يظلمْ)، ونفيُ اللَّبسِ هنا مُتعلِّقٌ بالإيمانِ لا بالعملِ؛ لأنَّ الوصلَ باللهِ مُرتبِطٌ في الأساسِ بعقيدةِ التَّوحيدِ، ونفي الشَّريكِ، باعتبار أنَّ الاستمدادَ منه تعالى ابتداءً، والتَّوكُّلَ عليه وحدَه دونَ سواهُ، ممَّا يقتضي أن يتنزَّهَ عنِ اللَّبسِ، فلا يطالُ دائرةَ الإيمانِ العقديَّةَ، من حيثُ إنَّ الإيمانَ تدفُّقٌ ينبوعيٌّ في القلبِ، والعملُ ينشأُ عنِ الالتزامِ الَّذي شرعَهُ الإيمانُ، وقد رُوِيَ في الأثر: «إنَّ الإيمَانَ لَيسَ بالتَّحَلِّي ولَا بالتَّمَنِّي، إنَّما الإيمَانُ مَا وَقَرَ في القَلبِ، وصَدَّقَهُ العَمَلُ»[1]، وعليه فإنَّ النَّفيَ هنا مُرتبطٌ باللَّبسِ الَّذي يشوبُ العقيدةَ في تعظيمِ اللهِ ذاتًا وصفاتٍ، واليقينُ بأنَّه ليسَ كمثلِهِ شيءٌ، فإنْ وقعَ اختلالٌ في ذلك اليقينِ كانَ اللَّبسُ المفضي إلى الظُّلمِ؛ فتعبيرهُ باللَّبسِ أوفقُ وأجدى منَ التَّعبيرِ بالظُّلمِ وحدَهُ؛ لأنَّ الظُّلمَ أثرٌ مادّيٌّ، واللَّبسَ نسبةٌ ذهنيَّةٌ، فإذا صفَتِ العقيدةُ منَ اللَّبسِ انتفى الظُّلمُ، وانزاحَ الوهمُ، وذلك ديدنُ هؤلاءِ المؤمنين الَّذين حَباهُم اللهُ بالأمنِ، وخصَّهُم بالهدايةِ[2].

(1) الحديث رواه أبو بكر بن أبي شيبة، عنِ الحسن، أبو بكر بن أبي شيبة، الكتاب المصنّف في الأحاديث والآثار: 7/189.

(2) يُستأنس في هذه المعاني، بما ورد في تفسير الشّعراويّ: 6/3758، وما بعدها.

فائدةُ تنكيرِ لفظِ ﴿بِظُلْمٍ﴾:

تجبُ البراءةُ من أيِّ شـركٍ، فهو آفةٌ كبرى وظلمٌ عظيمٌ

جاءَ لفظُ (الظُّلم) في قولِهِ جلَّ شأنُه: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ بصيغةِ التَّنكيرِ دلالةً على التَّقليلِ، وذلك "دالٌّ على الحثِّ على التَّبرِّي عن قليلِ الشِّركِ وكثيرِه، فآلَ الأمرُ إلى أنَّ المرادَ: ولم يلبسوا إيمانَهم بشيءٍ منَ الشِّركِ"[1]، أي: لم يخلطوا إيمانَهم بأقلِّ شركٍ، وفيه بيانٌ لرسوخِ إيمانِهم وعلوِّ قدرِهم فيه، ممَّا يتطلَّبُه صفاءُ الاعتقادِ ويقتضيه، ولا فرقَ بين قليلِ الشِّركِ وكثيرِه، فهو كالدَّاءِ العُضالِ؛ يبدأُ قليلًا خفيفًا، ثمَّ ما يلبثُ أن يتفاقمَ ويتراكمَ؛ ليُهلكَ صاحبَهُ ويُرديَه.

العدولُ عنِ الجوابِ بـ (أحقَّ بالأمن) إلى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ﴾:

إثباتُ الجوابِ بالطَّريقِ الأبلغِ تعظيمٌ للقدرِ وتبريزٌ للمقامِ

جاءَ الجوابُ على هذا الحالِ لبيانِ قدرِهم وعظيمِ منزلتِهم، وقد تحقَّقَ ذلك من عدَّةِ جهاتٍ بلاغيَّةٍ، ويمكنُ تفصيلُ ذلك كالتَّالي:

أوَّلاً: استخدامُ اسمِ الإشارةِ البعيد تنبيهًا على علوِّ مكانتِهم، وتمييزِهم أكملَ تمييزٍ؛ ففي التَّعبيرِ عنهم باسمِ الإشارةِ، "إيذانٌ بأنَّهم تميَّزُوا بذلكَ عن غيرِهم، وانتظمُوا في سِلكِ الأمورِ المُشاهَدَةِ"[2]، فكانوا ظاهرينَ معروفينَ بتلك الصِّفاتِ، بحيثُ إنَّها تشاهَدُ، فيشارُ إليها، كما أنَّ فيه تنبيهًا على العلَّة، فهم "بسببِ هذينِ الوصفينِ؛ كان لهم الأمنُ من أن يصيبَهم في الدُّنيا سوءٌ"[3]؛ وقد آثرَ صيغةَ البُعدِ "للإشعارِ بعلوِّ درجتِهم وبُعدِ منزلتِهم في الشَّرفِ"[4].

ثانيًا: التَّعبيرُ بلامِ الملكِ: فقد عبَّر عن استحقاقِهم الأمنَ باللَّام،؛ للدَّلالةِ على "أنَّ الأمنَ مُختَصٌّ بهم وثابتٌ، وهو أبلغُ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 7/167 - 168.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/156.
(3) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 5/2570 - 2571، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/333.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/156، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 7/167.

من أن يُقالَ: آمنون"[1]، فاللَّامُ تدلُّ على التَّمليكِ والتَّخصيصِ؛ أي: إنَّ الأمنَ لهم، كأنَّه صارَ خاصًّا بهم؛ وفي ذلك مبالغةٌ في استحقاقِهم له.

ثالثًا: التَّقديمُ المفيدُ القصرَ: وهو مُشعرٌ باختصاصِ الأمنِ بهم، وأهليَّتِهم له وحدَهم، وذلك بتقديمِ الجارِّ والمجرورِ على الاسمِ في قولِهِ جلَّ شأنُه: ﴿لَهُمُ ٱلْأَمْنُ﴾؛ لإفادةِ القصرِ، فالأمنُ لهم على وجه الخصوصِ، لا يتعدَّاهم إلى سواهم.

رابعًا: تعريفُ لفظِ الأمنِ: فقد عبَّرَ باختصاصِ الأمنِ بهم ﴿لَهُمُ ٱلْأَمْنُ﴾ دونَ الوصفِ، و(لم يقُل: هم الآمنون)؛ لإثباتِ الاستحقاقِ بطريقٍ أوكد، كأنَّه قال: جنسُ الأمنِ لهم، واللَّامُ للدَّلالةِ على الجنسِ، و"التَّعريفُ في الأمن تعريفُ الجنسِ، وهو الأمنُ المُتَقدِّمُ ذِكرُهُ؛ لأنَّه جنسٌ واحدٌ، وليس التَّعريفُ تعريفَ العهدِ حتَّى يجيءَ فيه قولُهم: إنَّ المعرفةَ إذا أُعيدَت مَعرفةً فالثَّانيةُ عينُ الأولى؛ إذ لا يُحتَمَلُ هنا غَيرُ ذلك"[2].

خامسًا: عطفُ الجملةِ المفيدةِ فيه زيادةُ المدحِ وتأكيدُ الاستحقاقِ، فقد عطفَ الجملةَ الاسميَّةَ على الجوابِ زيادةً في مدحِهم، وتأكيدًا لرسوخِهم في الإيمانِ، وبيانًا لعوائدِ الإيمانِ على أهلِهِ.

نكتةُ الإخبارِ بالاسميَّةِ في قولِهِ: ﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾:

التَّعبيرُ بالجملةِ الاسميَّةِ للدَّلالةِ على ثباتِهِ، وانتفاءِ زوالِهِ

أُثبِتَ لهم الاهتداءُ بالجملةِ الاسميَّةِ في قولِهِ: ﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾، لِمَا في اسميَّةِ الجملةِ من عدمِ التَّقيُّدِ بزمنٍ، وثبوتِ الصِّفةِ على الدَّوامِ، فهو اهتداءٌ غيرُ زائلٍ، بذلك كان أولئكَ - الَّذينَ لم يخلطُوا إيمانَهم بظلمٍ عظيمٍ، كعبادةِ أحدٍ سواه - هُمُ الأكثرَ أمنًا، كما أنَّهم هُمُ المهتدونَ إلى طريقِ الحقِّ والخيرِ، وهو وصفٌ يصلحُ لكلِّ زمانٍ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/333.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/333.

على سبيلِ الصَّلاحيَّةِ للتَّجسيدِ، ما دامَت شروطُ الأمنِ، وأوصافُ الهِدايةِ مرعيَّةً على نحو ما هو مُلْمَحٌ إليه في سياقِ الآيةِ[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

(الأمن) و(السَّلام):

الأمنُ: أصلُ الأَمنِ: طمأنينةُ النَّفسِ وزوالُ الخوفِ، وهو ضدُّ الخوفِ[2]، وقد أمِنْتُ فأنا آمِنٌ. وآمَنتُ غيري، منَ الأمنِ والأمانِ، والإيمانُ: التَّصديقُ، واللّهُ تعالى المؤمنُ؛ لأنَّه آمَنَ عبادَه من أن يظلمَهم، وأصلُ آمَنَ: أَأْمَنَ بهمزتين، لُيِّنَت الثَّانية[3]، وقولهُ تعالى: ﴿وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ۝٣﴾ [التِّين: 3]، قال الأخفشُ: يريدُ الآمنَ، وهو منَ الأمنِ، قال: وقد يُقالُ: الأمينُ: المأمونُ، كما قال الشَّاعر:

أَلَم تَعلَمي يا أَسمَ وَيحَكِ أَنَّني *** حَلَفتُ يَمينًا لَا أَخُونُ أَمِينِي[4].

الأمـــــنُ: الطُّمأنينةُ بلا خوفٍ، والسَّلامُ: سلامةٌ بلا عاهةٍ ولا أذًى

أمَّا السَّلامُ من (سلم) فهو أصلٌ يدلُّ على الصِّحَّةِ والعافيةِ؛ فالسِّلمُ والسَّلامةُ: أن يَسْلمَ الإنسانُ منَ العاهةِ والأذى، والتَّعرِّي منَ الآفاتِ الظَّاهرةِ والباطنةِ، قال: ﴿بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ۝٨٩﴾ [الشّعراء: 89]؛ أي: مُتعرٍّ منَ الدَّغلِ، فهذا في الباطن، وقال تعالى: ﴿مُسَلَّمَةٞ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ﴾ [البقرة: 71]، واللّه جلَّ ثناؤُهُ هو السَّلامُ؛ لسلامتهِ ممَّا يلحقُ المخلوقينَ منَ العيبِ والنَّقصِ والفناءِ. وجمعَ بينَ السَّلامِ والأمنِ، لمَا بينَهما منَ الفرقِ في الظَّاهرِ، فقالَ تعالى: ﴿ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ۝٤٦﴾ [الحِجر: 46][5]، وقد عبَّرَ في الآية قيد التَّحليلِ بالأمنِ دونَ السَّلامِ؛ لأنَّه في سياقِ الحديثِ عنِ الخوفِ من أهوالِ يومِ القيامةِ.

(1) إبراهيم القطّان، تيسير التّفسير: 1/482.
(2) الجوهريّ، الصّحاح، والرّاغب، المفردات: (أمن).
(3) الجوهريّ، الصّحاح: (أمن).
(4) الجوهريّ، الصّحاح: (أمن)، وابن منظور، لسان العرب: (أمن)، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (أمن).
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (سلم).

(اللَّبس) و(الخلط):

اللَّبسُ يتعلَّقُ بالاعتقادِ، والخلطُ بالأعمالِ والمحسوساتِ

"اللَّبسُ يُستعمَلُ في الأعراض مثل: الحقِّ والباطلِ، وما يجري مجراها، وتقول: في الكلام لَبسٌ، وحدُّ اللَّبسِ: منعُ النَّفسِ من إدراكِ المعنى، بما هو كالسِّترِ له؛ وقلنا ذلك لأنَّ أصلَ الكلمةِ السِّترُ"[1]، وفي الحديث: صلَّى رسولُ اللهِ ﷺ الفجرَ، فقرأَ فيهما بالرُّوم، فالتبسَ عليه في القراءةِ، فلمَّا صلَّى قال: «ما بالُ رجالٍ يحضرون معنا الصَّلاةَ بغيرِ طهورٍ، أولئك الَّذين يَلْبِسُونَ علينا صلاتَنا، مَن شهدَ معنا الصَّلاة فليحسنِ الطُّهور»، و(يلبسون) بكسرِ الباءِ منَ اللَّبسِ، بفتحِ اللَّام بمعنى: الخلطِ، ويمكن أن يجعلَ منَ التَّلبيس[2]، وقد استعملَ اللُّغويُّون والنُّحاةُ مصطلحَ (قرينة أمنِ اللَّبسِ)، على أساسِ أنَّ "اللُّغةَ العربيَّةَ - وكلَّ لغةٍ أخرى في الوجودِ - تنظرُ إلى أمْنِ اللَّبسِ باعتبارِه غايةً، لا يمكنُ التَّفريطُ فيها؛ لأنَّ اللُّغةَ الملبسةَ لا تصلحُ واسطةً للإفهامِ والفهمِ"[3]، و"الخلطُ يُستعمَلُ في العرضِ والجسمِ، فتقولُ: خلطتُ الأمرينِ، ولبستُهما، وخلطتُ النَّوعين منَ المتاعِ، ولا يقالُ: لبستهما"[4]، وفي قولِه جلَّ شأنُه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾، عبَّرَ بـ (اللَّبس)؛ لأنَّهُ يتعلَّقُ بالمعاني، فهو أنسبُ للتَّعبيرِ عن خلطِ الإيمانِ بالشِّركِ، كما في قولِه تعالى: ﴿وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ [البقرة: 42]، ولذلك فإنَّ الخلطَ يكونُ في العملِ، واللَّبسَ يكونُ في الاعتقادِ.

(الظُّلم) و(الجَور):

"الجورُ: خلافُ الاستقامةِ في الحكمِ، وفي السِّيرةِ السُّلطانيَّةِ

(1) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 302.

(2) مسند الإمام أحمد بن حنبل: 38/169، والحديث إسناده حسن، أخرجه عبد الرّزاق في المصنّف، رقم: 2725، والمزّي في تهذيب الكمال: 12/372 - 373، والنّسائيّ في المجتبى: 2/156، والنّسائي، السّنن الكبرى، رقم: (1019).

(3) تمّام حسّان، اللّغة العربيّة معناها ومبناها، ص: 233.

(4) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 302.

الجورُ: الميلُ عن حدِّ الاستقامةِ، والظُّلمُ: إنكارٌ للحقائقِ، وحَيْفٌ على الخلائقِ

تقولُ: جارَ الحاكمُ في حكمِهِ والسُّلطانُ في سيرتِهِ: إذا فارقَ الاستقامةَ في ذلك، والظُّلمُ ضررٌ لا يستحقُّ ولا يعقبُ عوضًا، سواء كانَ من سلطانٍ أو حاكمٍ أو غيرِهما؛ ألَا ترى أنَّ خيانةَ الدَّانقِ والدِّرهم تسمَّى ظلمًا، ولا تسمَّى جورًا، فإن أُخذ ذلك على وجهِ القهرِ أو الميلِ سمِّي جورًا، وهذا واضحٌ، وأصلُ الظُّلمِ نقصانُ الحقِّ، والجورُ العدولُ عنِ الحقِّ من قولِنا: جارَ عنِ الطَّريقِ، إذا عدلَ عنه؛ وخُولِفَ بين النَّقيضين، فقيل في نقيضِ الظُّلمِ الإنصافُ، وهو إعطاءُ الحقِّ على التَّمامِ، وفي نقيضِ الجورِ العدلُ، وهو العدولُ بالفعلِ إلى الحقِّ"[1]، وفي الحديث: «إِيَّاكُم وَالظُّلمَ، فَإِنَّ الظُّلمَ ظُلُمَاتٌ يَومَ القِيَامَةِ»[2]، وأصلُ الظُّلمِ: وضعُ الشّيءِ في غيرِ مَوضِعِه... وظَلَمتُ فلانًا تَظليمًا، إذا نسبتَهُ إلى الظُّلمِ، فانظَلَمَ؛ أي: احتملَ الظُّلمَ، قالَ زهير بن أبي سلمى:

هُوَ الجَوَاد الَّذي يُعطِيكَ نَائِلَهُ *** عَفوًا، وَيُظلَمُ أَحيَانًا فَيَنظَلِمُ[3]

وفي الآية عبَّرَ بالظُّلمِ دونَ الجورِ؛ لأنَّ السِّياقَ في المؤمنين الَّذين لم يقعْ في إيمانِهم شركٌ؛ أي: إيمانُهم كان تامًّا، لا نقصانَ فيه، والنُّقصانُ مدلولُ الظُّلمِ، ولا يناسبُ السِّياق أنَّ يعبِّرَ بالجور؛ لأنَّه في الحكم، وفيه دلالةٌ على القهرِ، وهو نقيضُ العدلِ لا نقيض التَّمامِ، والآيةُ تتعرَّضُ لتمامِ الإيمانِ، ونفي نقصانِهِ بشيءٍ منَ الشِّركِ؛ فكان الأنسبُ التَّعبيرَ بالظُّلمِ قولًا واحدًا.

(1) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 172.
(2) أحمد بن حنبل، المسند، الحديث رقم: (9570).
(3) الجوهريّ، الصّحاح: (ظلم).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي عشر، سورة الأنعام من الآية 59 إلى الآية 123
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة الأنعام من الآية 59 إلى الآية 123 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 11 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-63-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 11 : سورة الأنعام من الآية 59 إلى الآية 123.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-798-63-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9795022 بتاريخ 2023/12/19م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»